واعتمد ابو حاتم فى علاجه على الشواهد ولكنه كان يقلل منها فى الشواهد التى انفرد بها عن ابن السكيت ، ولم يظهر لي انه اخذها من غيره . ولا يختلف الاستشهاد عند ابي حاتم عنه عند من سبقه ، طريقة وانواعا ، غير انه اكثر من الآيات القرآنية ، وقلل من الامثال والاقوال . وهذه بعض امثلة الاستشهاد عنده . قال (5) : « الآدم من الابل ومن الظباء : الابيض . ومن كل شيء بعد ذلك : غير الابيض على ما يقول الناس . يقولون : رجل آدم — (اسمر) وظبية ادماء : بيضاء . وبعير آدم : للابيض ، وناقة ادماء » . وقال (6) : « قد قالوا : بصير ، للبصير الاعمى ، وللزنجي ابو البيضاء . وقال لي رجل من شق الاحساء : لي ام بصيرة ، يريد عمياء .

ولكن ابا حاتم خالف من قبله فى ناحية واحدة من الشواهد ، هي ايراده احيانا السند فى تفسير الآيات والاحاديث . قال (7) : « حدثني ابو عامر العقدي قال : حدثني سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار : ان ابن عباس قرأ : (وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) ... » .

وكان فى العلاج يحاول الا يستطرد كما كان يفعل ابن السكيت ، وان يلتزم بما اتصل بالاضداد وحده .

ولكن هذا لم يمنعه من الالتفات الى المشتقات المتصلة بالاضداد ، والعناية باللغات ، كما نرى فى قوله فى « ند » (8) : « النخل ، يؤنثه اهل الحجاز ويذكره سائر الناس . ويؤمل : من املته ، مخففة ، ويقال : هو مأمول ومن قال املته ، فشدد الميم . قال : هو مؤمل . وقالوا للواحد : شبه وشبيه ، وعدل وعديل . وقد يقال للعدل من الاحمال : عديلة : ايضا » .

وكان الى جانب هذا يلتفت احيانا الى بعض القواعد والاحكام اللغوية والنحوية ، ويذكرها . قال : « قال ابو حاتم : اجتمعت العرب على ان (ند) الشيء مثله وشبهه وعدله ، ولا اعلمهم اختلفوا فى ذلك ... والجمع انداد .. وكثير من العرب يجعلون الند ايضا للجمع من الرجال والنساء. وللاثنين من الرجال والنساء ، كما يجعلون المثل والشبه والعدل والضد .. ويقال : ند ، ونديد ، ونديدة بالهاء ، كما يقال فى الحديث : « اذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه » : اي كريم قوم ... قال تعالى: « كلا سيكفرون بعبادتهم ، ويكونون » اي تكون الالهة ضدا عليهم . وانما جعل الضد كالمصادر التى تكون للواحد والجمع سواء . كقولك : القوم رضى ، والقوم عدل . وهم جنب ... وهذا مشهور فى المصادر خاصة . ويقال : قوم كرم ، فى معنى : كرام وقالوا : قوم شرط : وقزم : للئام ، وقد يجمع فيقال : قزامى واشراط » .

وكتاب الاضداد لابي حاتم اكثر انتظاما من كتاب ابن السكيت ، اذ ينظم اضداد فعول ، وافتعل وانفعل من الاجوف ، وافتعل من المضعف الثلاثي ، ولم يظهر ذلك التنظيم بهذا البروز فى اضداد ابن السكيت . يضاف الى ذلك انه آخر مجموعة كبيرة من الاضداد التى شك فيها الى آخر اضداده ، وصرح بشكه فيها . ولكن تسرب اليه الاختلال فى مادة « ضنين وظنين » التى لا ندري سبب وضعه اياها فى الاضداد ، وفى مادة « قعد » التى كررها مرتين (9) .

يضاف الى ذلك ان ابا حاتم فى اضداده امتاز على ابن السكيت امتيازا كبيرا ، دل على قدرة فائقة . وقد ظهرت آثار هذه القدرة فى النقود التى عقب بها على كثير مما أورده من اضداد . وعندما نتتبع هذه النقود نخرج بالملاحظات التالية :

اقام ابو حاتم الشطر الاكبر من نقده ، على عدم معرفته هو بالمعنى المقول به للفظ . وهو يقيم من نفسه مثالا للغويين ، فيعني بقوله : « لا أعرفه » ان اللغويين لا يعرفونه . قال مرة (10) « اجتمعت

---

(5) 176 .
(6) 225 .
(7) 111 .
(8) 106 .
(9) 212 ، 261 .
(10) 106 .

واضداد اللغات (227) واضداد المتعلقات (236) وغيرها . أما الفرق الواضح بينهما فكثرة اعتماد ابن السكيت على أبي عبيدة وابي عمرو الشيباني ، واكثار ابي حاتم الرواية عن قطرب وابي زيد والاصمعي .

وجمع أبو حاتم في آخر كتابه ثلاثين ضدا ، افردها عن بقية الكتاب لشكه فيها . ووجه اليها نقدا عاما اذ قال (1) : « وقد ذكر بعض اصحابنا حروفا لا علم لي بها : اتقال أم لا » . وكان من هذه الاضداد ما شاركه فيه ابن الانباري (257) وما شاركه فيه قطرب وابن الانباري (252) ، وما شاركه فيه الاصمعي وابن السكيت وابن الانباري والصغاني (187) .

ولا تختلف الخطة التي سار عليها ابو حاتم في معالجة الاضداد ، في معالمها الكبرى وان اختلفت في بعض التفاصيل ، عما رايناه في اضداد ابن السكيت. فهما متفقان في تقديم المادة ، فمعنييها ، فشواهدهما تارة ، وتقديم المادة فاحد المعاني وشواهده ، فالمعنى الآخر وشواهده . قال (2) : « بيضة البلد . يقال : فلان بيضة البلد : اذا ذم ، اي قد انفرد ، ويقال ذلك في المدح ، زعموا . فأما في الذم فقال الراعي لعدي بن الرقاع العاملي :

تأبى قضاعة ان تعرف لكم نسبا
وابنا نزار فانتم بيضة البلد

قال ابو حاتم : يجوز ان يكون قول الراعي هزءا ، يهزأ بهم يقول : انتم سادة البلد ، وهو يهزأ بهم . وقال حسان لمزينة ، وقد قتلوا اباه فجعلهم جلابيب ، اي سفلة :

أرى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا
وابن الفريعة امسى بيضة البلد

وقال المتلمس :

لكنه حوض من أودى باخوته
ريب المنون فاضحى بيضة البلد

واما قول ابن الزبعرى :

كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصه لعبد مناف

فليس من هذا في شيء» . وقال (3) : «زهق. الزاهق : الميت . يقال : زهقت نفسه وقال تعالى : « وتزهق انفسهم » و « قل جاء الحق وزهق الباطل » وزهق بين يدي القوم : مضى وتقدم . وقالوا : والزاهق : السمين ، قال زهير :

القائد الخيل منكوبا دوابرها
منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

وقلما كان يسلك الطريقة الثانية ، الا في المقتطفات التي اخذها من غيره . وكان في بعض الاحيان يترك الطريقتين ، ويذكر المادة كما تاتي . قال (4) : « ظهر . بطن : وقال الحسن رحمه الله : (بطائنها من استبرق) . ظواهرها . وقالوا : ظهر السماء : وجهها ، وبطن السماء كذلك ، وقرات القرآن عن ظهر قلب . وعن ظهر اللسان . قال الشاعر :

وان من القول التي لا شوى لها
اذا زل عن ظهر اللسان انقلابها

وقالوا في قوله تعالى : « فيظللن رواكد على ظهره » اي على وجه البحر . وقالوا : امر ظاهر عنك : اي زائل ، قال الهذلي ابو ذؤيب :

وعيرها الواشون اني احبها
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

اي زائل . ويقال : النعمة ظاهرة عليه : اي لازمة له » . فالمعاني والشواهد كلها مختلطة لا نظام لها .

---

(1) ص 148 .
(2) 171 .
(3) 195 .
(4) 240 .